ابطيل الاديان

وهى الصفحات الاولى من كتاب « توماس پاين » :

الموسوم ب « عصر العقل » . قال :

أؤمن بمساواة الانسان . واعتقد بان الدين الحقيقى هو ما كانت فرائضه منحصرة فى اتباع العدل ، وتعشق الرحمة ، والعمل فى سبيل اسعاد رفاقنا بالانسانية .

ولئلا يكون من ظن أحد بان ايمانى وعقيدتى تتعديان الى اشياء عديدة غير الذى ذكرته ، فانى سأجعل هذا البحث اعلانا لرفض ما لا تقره لى هذه العقيدة و بياناً لأسباب هذا الرفض ، وهى عندى وجيهة :

فانا لا أعتقد بالطقوس التى تعترف بها الكنيسة اليهودية (١) أو الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أو اليونانية الارثوذكسية أو الاسلامية أو البروتستانتية أو أى كنيسة اتانى خبرها .انمافكرى وحده كنيستى التى آمن بها . بل ان كل المؤسسات الدينية من يهودية أو مسيحية أو اسلامية أو غير كل هذه لا تظهر لى أكثر من اختراعات بشرية اختلقت لارهاب الانسانية واستعبادها ، ولاحتكار القوة والارباح .

وليس من قصدى بهذا الاعلان ان ادعى ان الحقيقة المطلقة هى ما اعتقده ، ولا أريد التحكم بمن يذهب غير مذهبى ، فان لكل انسان حقه فى التفكير كما ان لى حق . ولكن وجوب سعادة الانسان يقضى على الانسان بان يكون أميناً لتفكيره ، وصادقا فى التعبير عن هواجس نفسه ومكنونات ضميره . فان الالحاد ليس فى اعتقاده بهذا أو فى عدم اعتقاده

(١) يقصد المؤلف بهذا التعبير مجموعة الرسوم والطقوس والعقائد المبنية عليها الجمعية اليهودية وكذلك سمى الاسلام بالكنيسة الاسلامية

بذلك ، بل هو فى تعمل الاعتقاد بما لا يعتقده فى الحقيقة والواقع و يستحيل علينا تقدير الضرر الاخلاقى الهائل الذى يولده النفاق فى التفكير والاعتقاد فالانسان الذى يفسد طهارة تفكيره ويعهد فيه لدرجة ارهاق معتقده فى سبيل اشياء لا يصدق بصحتها ، يكون حينئذ قد اعد نفسه لقبول اقتراف كل جريمة اخرى . وهو حينئذ لا يأنف من ان يتخذ الكهانة تجارة رابحة ، ولا يأنف فى سبيل تقوية بنيان تجارته الدنيئة هذه من الخوض فى كل رذيلة . وهل اعطل للاخلاق من هذا ؟

لقد كان الاتصال الفاسق بين الدولة والكنيسة ـ من موسوية او مسيحية او محمدية الصبغة ـ قد منع بكل ماله من قدرة وقوة : بانواع العذابات والعقوبات ، اى بحث يتناول مذاهبه المؤسسة ومبادئه الاولية ، حتى بات من اليقين فى شىء كثير ان تلك المواضيع لا تتشرح بعدل ووضوح امام الناس ، الا بتغير نظام الدولة الحاكمة ، وحتى بات من اليقين فى شىء كثير ايضا ان حدوث مثل هذا التغير اقل ما ينتج ثورة فى انظمة الدين واعتقادات البشر التى تصطبغ بلون القداسة والتأله

إن كل دين قد ثبت دعواه بزعم رسالة خاصة من عندالله الذى اصطفى لها أشخاصا معينين فاليهود لهم موساهم والنصارى لهم يسوعهم المسيح ورسولهم وقديسوهم والاسلام لهم محمدهم كأن السبيل الى الله لم يكن مفتوحا لكل انسان بالسواء بل حتى فى الاعتبارات لالهية والسماوية يوجد رفيع ووضيع كبير وصغير غنى وفقير مصطفي وغير مصطفى وأخيراً جنة وجهنم

وكل من تلك الاديان تريك كتبها التى يسمونها « تنزيلا » ووحيا وكلمة لله - فاليهود يقولون إن كلمة الله تختص بهم وحدهم وقد أعطاها الله لموسى وجها لوجه والمسيحيون يقولون بأن كلمة الله ملكهم دون غيرهم أنتهم وحيا وتنزيلا والمسلمون يقولون بان كلمة الله عندهم وليست عند سواهم ، وقد جلبها لهم ملك سماوى من لدن الله . وكل من تلك الاديان تتهم الاخرى بالكفر والخروج وتنكرها . وانا من جهتي انكرها جميعا !

قد قص احد الناس بعض الاخبار وذهب الى أنه استوحاها من السماء . ولربما

وجد نفسه مجبراً على تصديق وحيه ، ولكن ليس فرضاً على انا ان أصدقه ، لان وحيه لم يكن وحياً لى . وليس لدى برهان على صدق وحيه سوي ادعائه ان كلامه حق وحقيقة . فموسى حين قال لبنى اسرائيل انه استلم لوحى الوصايا العشر من يدى الله لم يكونوا مجبرين على تصديقه والايمان بما ادعاه ؛ لان الشاهد الوحيد على صدق قوله هو قوله فقط . واما انا فليس لى مصدر يثبت لى صحة كل ذلك الادعاء والاستيحاء والقول سوى مؤرخ أو قصاص اخبرنى ذلك الخبر الذى لم يصدقه الخبر . أما الوصايا نفسها فهى لاتحمل طيها أى دليل ضمنى يشير الى ألوهيتها وجل ما تنطوى عليه هو بعض القواعد الاخلاقية المشكورة التى يسع أى انسان خص بموهبة الشارع ، ان يعطى مثلها واحسن منها ، من دون ان يدعى فى ذلك الاتصال الالهى (١)

وكذلك حين يقال لى ان القرآن كتب فى السماء وجلبه ملك من الخلد لمحمد تكون هذه القصة كالأولى ليس فيها شاهد قيم سوى ادعاء ذلك . ولكننى لم ار الملك بنفسى فلذلك لى الحق بان لا أصدق ما يقال لى

وهذا هو الحال نفسه حين يخبرونى بان سيدة ،اسمها مريم قالت ، أو شهرت ، بانها حبلى من دون جماع مع رجل ، وحين يخبرونى بان زوجها الموصول بها قريبا، زعم بان أحد الملائكة اكد له ذلك فلى الحق الطبيعى بان اصدقهما أولا اصدقهما . ومثل هذه الحادثة الغريبة تحتاج الى دليل أقوى من دليل القول المبني على القول . وانا لن أصدق مثل هذه الادلة

طرابلس الشام :

سليم خياطة

١ ولكن من الضرورى ان نستثنى من هذا الحكم الوصية الاولى من وصايا موسى التى تقول : « أنا الرب الهك إله غيور افتقد ذنوب الاباء فى الابناء » لان هذه الاية بريئة اللهجة مخالفة لكل رحمة ولكل عدل اخلاق . . .